الباب العاشر

في البرزخ وصفته

وكيفية حلول الأرواح فيه

سمعت الشيخ ﷺ **يقول في البرزخ**[1]: إنه على صورة محل ضيق من أسفله، ثم ما دام يطلع [وهو] يتسع، فلما بلغ منتهاه جعلت قبة على رأسه مثل قبة الفنار، فينبغي أن يمثل بالمهراس الكبير من العود، فإن أسفله ضيق، ثم جعل يتسع شيئًا فشيئًا إلى أعلاه، فإذا جعلت قبة فنار على رأسه كان مثل البرزخ في الشكل، أمّا في القدر والعظم فإن البرزخ أصله في السماء الدنيا ولم يخرج منها إلى ما يلينا، ثم جعل يتصاعد عاليًا حتى خرق السماء الثانية، ثم تصاعد حتى خرق الثالثة، ثم تصاعد حتى خرق الرابعة، ثم تصاعد حتى خرق الخامسة، ثم تصاعد حتى خرق السادسة، ثم تصاعد حتى خرق السابعة، ثم تصاعد إلى ما لا يحصى، وقد جعلت قبته عليه هذا طوله.

قال ﷺ: وهو البيت المعمور.

فقلت: والبيت المعمور إنما هو في السماء السابعة، والبرزخ مبدؤه من الأولى إلى ما فوق السابعة إلى ما لا يحصى، فهو في كل سماء.

فقال ﷺ: إنما اقتصروا على ذكر ما فوق السابعة؛ لأن فيه القبة المذكورة وهي أشرف

---

(١) قال سيدنا الشعراني نقلاً عن الشيخ الأكبر ما نصه: وقال في الباب الثالث والستين في معرفة بقاء الناس في البرزخ بين الدنيا والبعث: اعلم أن البرزخ عبارة عن أمر فاصل بين أمرين، لا يكون إلا متطرفًا أبدًا كالخط الفاصل بين الظلّ والشمس، فهو كقوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ*بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن:١٩، ٢٠] أي: لا يختلط أحدهما بالآخر، وإن عجز الحس عن الفصل بينهما، والعقل يقضي أن بينهما حاجزًا يفصل بينهما، فذلك الحاجز المعقول هو البرزخ، فإن أدرك بالحس فهو أحد الأمرين، وكلُّ أمرين يفتقران إذا تجاورا إلى برزخ ليس هو عين أحدهما، أو فيه قوة واحد منهما.

ما هو البرزخ؟ قال: ولما كان البرزخ أمرًا فاصلاً بين معلوم وغير معلوم، وبين معدوم ومرجوم، وبين منفي ومثبت، وبين معقول وغير معقول، سمِّي برزخًا اصطلاحًا، وهو معقول في نفسه، وليس إلا الخيال، وأطال في بيان ذلك بما لا تصل إليه الأفكار، فراجعه.

وقال: الصور والناقور اللذان ذكرهما الله في القرآن هما واحد، وهي الحضرة البرزخية التي ننتقل إليها بعد الموت، ونشهد نفوسنا فيها. [مختصر الفتوحات المكية] بتحقيقنا.

ما فيه، إذ ليس فيها إلا روح سيد الأولين والآخرين ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ ومن أكرمه الله بكرامته كأزواجه الطاهرات وبناته وذريته الذين كانوا في زمانه، وكل من علم بالحق بعده من ذريته إلى يوم القيامة، وفيها أيضًا أرواح الخلفاء الأربعة، وفيها أيضًا أرواح الشهداء الذين ماتوا بين يدي النبي ﷺ في زمانه، وبذلوا نفوسهم ليحيا ﷺ ويبقى لهم قوة وجهد لا يوجد في غيرهم إثابة لهم على حسن صنيعهم ﷺ.

وفي القبة أيضًا أرواح ورثته ﷺ الكاملين من أولياء الله تعالى، كالغوث والأقطاب ﷺ أجمعين، فأشرف ما في البرزخ القبة [المقصورة][1]؛ ولذا اقتصر عليها من اقتصر.

ثم رأيت الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ ذكر في «شرح البخاري» أن في كل سماء بيتًا معمورًا[2]، فانظره في شرح «حديث الإسراء» من كتاب «الصلاة» فقد نقل ذلك عن بعضهم ولا يوجد ذلك في جميع نسخه، بل في بعضها دون بعض، وحينئذ فلا إشكال أصلاً.

وأمّا عرض البرزخ فحسبك أن الشمس في السماء الرابعة لا تدور [إلا به][3] على هيئة الطائف به، فتقطعه في عام، وكله ثقب كما سيأتي في صفة الجنة إن شاء الله تعالى، وفي هذه الثقب الأرواح، فأمّا روح سيد الوجود ﷺ ومن أكرمه الله بكرامته ممن سبق ذكره فهي في القبة.

قال ﷺ: وهذه [القبة] انقسمت إلى سبعة أقسام بعدد أقسام الجنة، كل قسم منها يشبه جنة من الجنان السبع.

قال ﷺ: وروحه ﷺ وإن كان محلها في القبة فهي لا تدوم فيها؛ لأن تلك القبة وغيرها من المخلوقات لا تطيق حمل تلك الروح الشريفة لكثرة الأسرار التي فيها، وإنما يطيق حمل تلك الروح الشريفة ذاته الطاهرة الزكية الزاهرة ﷺ فلذا كانت روحه ﷺ في البرزخ غير مقيمة في محل معين؛ لأنه لا يطيقها شيء.

والأرواح التي في البرزخ من السماء الرابعة فصاعدا لها أنوار خارقة، ومن الثالثة

---

(١) المذكورة.

(٢) انظر: فتح الباري (١١/ ٢١٣)، وعمدة القاري (٩/ ٢١١).

(٣) في(ب): بها.

فسافلا غالبهم محجوب لا نور لأرواحهم، وهذه الثقب التي في البرزخ كانت قبل خلق آدم معمورة بالأرواح، وكان لتلك الأرواح أنوار ولكنها دون الأنوار التي لها بعد مفارقة الأشباح.

قال ﷺ: فلما هبطت روح آدم عليه السلام إلى ذاته بقي موضعها خاليًا، وهكذا كلما هبطت روح بقيت ثقبتها خالية منها، فإذا رجعت الروح بعد الموت إلى البرزخ لا ترجع إلى الموضع الذي كانت فيه، بل تستحق موضعا آخر غيره.

* **قلت**: كأنه يقول بل تستحق منزلاً أعلى إن كانت مؤمنة، وأسفل إن كانت كافرة.

قال ﷺ: والثقب الخالية تعمر بمخلوقات من مخلوقات الله تعالى، وكانت الأرواح قبل ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] غير عارفة بالعواقب، جاهلة بمراد الله تعالى فيها، فلما أراد الله تعالى أن يظهر لها ما سبق في قضائه وأزله أمر إسرافيل أن ينفخ في الصور، فنفخ فاجتمعت الأرواح وحصل لها من الهول والفزع مثل ما يحصل في صعقة البعث والقيام أو أكثر، فلما اجتمعت أسمعها الباري ـ جل وعلا ـ خطابه الذي لا يكيف، وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢].

فأمّا أهل السعادة فإنهم استجابوا لربهم مع الفرح والسرور، وهناك ظهر تفاوتهم في الاستجابة، واختلاف مراتبهم في المشاهدة، وتبين الشيخ من المريد، وعلم أن فلانًا متصل بفلان وفلان منقطع عنه، وظهر أيضًا تفاوت الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ واختلاف أممهم.

وأمّا أهل الشقاء ـ والعياذ بالله ـ فإنهم سمعوا الخطاب وتكدروا وتغيروا، وأجابوا كارهين، ثم نفروا نفرة النحل إذا دخن عليه، فحصلت لها ذلة، وانكسفت أنواره، وظهر المؤمن من الكافر في ذلك الوقت، وعند ذلك عين لكل روح الموضع الذي لها في البرزخ، وأمّا قبل ذلك فكانت الأرواح في البرزخ من أراد محلاً أقام فيه، ثم ينتقل عنه إن شاء إلى غيره.

قال ﷺ: ومن نظر الآن إلى البرزخ علم الأرواح التي خرجت من الأشباح بقوة أنوارها و بكثرة ظلامها، وعلم الأرواح التي لم تخرج إلى الدنيا لقلة ذلك.

قال ﷺ: وعند فراغ الأرواح التي لم تخرج إلى الدنيا واستكمالها الخروج إليها حتى لا تبقى روح إلا وخرجت حتى تقوم القيامة.

* **قلت**: فيلزم أن يعلم أرباب هذا الكشف بالساعة، ومتى تقوم، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤] وقال النبي ﷺ: «فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ تَعَالَى»(١).

فقال ﷺ: إنما قال ذلك النبي ﷺ لأمر ظهر له في الوقت، وإلا فهو ﷺ لا يخفى عليه شيء من الخمس المذكورة في الآية الشريفة، وكيف يخفى عليه ذلك والأقطاب السبعة من أمته الشريفة يعلمونها، وهم دون الغوث، فكيف بالغوث؟ فكيف بسيد الأولين والآخرين الذي هو سبب كل شيء ومنه كل شيء؟

ثم قال ﷺ: وكان البرزخ قبل أن ترجع إليه الأرواح من الأشباح قليل الأنوار، وكان قبل خلق آدم وفي أيامه قليل الأنوار، فلما صعدت إليه روح آدم وأرواح الأنبياء من ذريته ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأرواح الأولياء منهم كثرت أنواره على سبيل التدريج؛ لأن الأرواح إنما صعدت [إليه] بالتدريج.

فقلت: فأين أرواح الكفار في البرزخ بعد خروجها من الأشباح؟

فقال ﷺ: في أسفل البرزخ، وإذا نظرت إلى مقرهم فيه وجدته أسود مظلمًا مثل الفحم، والذي سوده حال ساكنيه من الكفرة، وذلك أن الآخرة بعكس الدنيا، فالشخص إذا لبس في الدنيا ثيابًا بيضاء فاخرة زاهرة تبقى على حالتها إلى أن يدخلها الوسخ من أمر عارض، وأمّا في الآخرة فوسخ الثياب من الذوات، فلو فرض أن الكافر لبس ما عسى أن يفرض من الثياب الحسان الشديدة البياض، فإنها مقدار لحظة ترجع تلك الثياب أسود من الفحم.

فقال ﷺ: بل الهواء المحيط بنا انعكس حاله في الدارين، ففي الدنيا إذا كان مضيئًا أضاء على الأجرام التي فيه من ذوات المؤمنين والكفار، وأمّا في الآخرة فإن الذوات غالبة عليه وحاكمة فيه، فذوات المؤمنين تضيء عليه ويكتسي من أنوار المؤمنين ما يبهر العقول،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠).

وأمّا ذوات الكفار فإنها تسخنه وتسوده حتى يصير كالفحم الذي لا أسود منه.

وبالجملة: فالآخرة تظهر فيها أحكام الأمور الباطنة؛ لأنها هي الحق والآخرة دار حق.

وبنحو هذا المعنى أجابني ﷺ عن العرق في الآخرة الذي يلجم بعضًا، ويبلغ إلى أوساط قوم، وإلى ركب آخرين، مع استواء الأرض التي هم فيها، وإذا وقف ثلاثة في ماء أرض مستوية في الدنيا فإنه لا يمكن فيه هذا الإختلاف.

فقال ﷺ: لأنهم لما تفاوتوا في الباطن في أمر الدنيا ظهر حكمه في الآخرة؛ لأنها دار حق.

ثم قال ﷺ: وفي البرزخ الذي فيه الكفرة عراجين خارجين منه على صفة العمود المستطيل، ثم امتدت تلك العراجين إلى ناحية جهنم، فيغدو على أهل تلك العراجين من عذابها ونكالها ورائحتها المنتنة ما يجعلهم بمنزلة من هو في جهنم بذاته، والذين يسكنون تلك العراجين هم المنافقون ومن غضب الله عليهم من الكفار.

وفي البرزخ الذي فيه أرواح السعداء عراجين أيضًا خارجة منه مستمدة إلى ناحية الجنة، فيغدو على أهلها من نعيم الجنة وخيرها ورائحتها الطيبة ما يجعلهم بمنزلة من هو في الجنة بذاته، والذين يسكنونها هم الشهداء ومن رحمه الله تعالى، وهذه العراجين المذكورة في برزخ الفريقين هي من البرزخ، ولكنها على هيئة الزائد عليه الخارج منه الذاهب إلى ناحية أخرى غير ناحية البرزخ.

فقلت: فأسفل البرزخ في السماء الدنيا، فإذا كانت أرواح الكفار فيه فلا تكون فيه إلا إذا فتحت لها أبواب السماء، وقد قال الله تعالى:﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف:٤٠] وأيضًا فإن العلماء ذكروا أن البرزخ للمؤمنين من القبر إلى أعلى عليين، وللكافرين من القبر إلى سجين، وهو أسفل سافلين.

فقال ﷺ مرة: إن روح الكافر إذا كانت في السماء الدنيا أسفل البرزخ، وقد حجبت بأن خيطت عينها وأذنها وقلبها وجميع مشاعرها على سبيل ضرب المثل، فهي بمثابة من لم تفتح له أبواب السماء.

ومرة أخرى قال: إن أرواح الكافرين في البرزخ على قسمين:

قسم: محجوب لغلبة الظلام وسوء الحال، حتى لا ترى الروح ولا تشاهد قليلاً ولا كثيرًا، وهو حجاب غضب، والعياذ بالله.

وقسم: غير محجوب، بل يشاهد ولكن لا يشاهد إلا ما أعد له من العذاب، وكل من القسمين في سخط الله فهو بمثابة من لم تفتح له أبواب السماء.

* **قلت**: ويؤيده اختلاف العلماء في قوله: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فقيل: لأدعيتهم بمعنى أنها لا تقبل، وقيل: لأرواحهم بمعنى أنها لا تفتح لها كما تفتح لأرواح المؤمنين، وانظر البيضاوي، واختلافهم أيضًا في حديث الأسودة التي على يسار آدم وهو في السماء، وقوله في الحديث: «**إنها أرواح الكفار من بنيه**»[1] فحمله بعضهم على ظاهره وأوله آخرون.

ومرة أخرى قال: إنا إذا قلنا في البرزخ ابتداؤه من السماء الدنيا على الصفة السابقة، فلسنا نعني أنه لا يكون إلا من ناحية رؤوسنا، بل ويكون من تحت أرجلنا؛ لأن السماء محيطة بالأرض، وكل سماء محيطة بما في جوفها، والعرش محيط بالجميع، والبرزخ مخلوق عظيم وعرض أصله الذي هو أضيقه قدر [عرض][2] الأرض سبع مرات، فهو إذا قلنا إنه فوق رؤوسنا فإن طائفة منه تكون تحت أرجلنا، فمن قال من العلماء إن أرواحهم تكون في أسفل سافلين؛ فيعني به: الجهة من أسفل البرزخ التي تسامت جهة أسفلنا.

* **قلت**: فكأنه ﷺ يقول: البرزخ خرق السماوات السبع إلى أعلى عليين، وخرق الأرضين السبع إلى أسفل سافلين، فأسفله في سجين تحت الأرض السابعة، وأعلاه في عليين فوق السماء السابعة، وقد صرح ﷺ بذلك غير ما مرة، وهذا هو الذي يوافق أن الجنة فوق السماوات وجهنم تحت الأرضين، فأسفله إلى ناحية جهنم وفيه أرواح الكفار والأشقياء والفجار، وأعلاه إلى ناحية الجنة وفيه أرواح المؤمنين والسعداء والأخيار، وهذا لا ينافي الإختلاف السابق في فتح أبواب السماء، فإنه لا يلزم من كون البرزخ على هذه الصفة أن لا تفتح أبواب السماء لأرواح الكفار.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٥/ ١١٦، رقم ٩١١٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٥٣).
(٢) سقطت من (أ).

وقال ﷺ **مرة أخرى**: إن من الكفار من إذا مات حبست روحه عن الصعود إلى البرزخ، وسلطت عليها الشياطين والأباليس الذين كانوا يوسوسون للذات التي كانت فيها في دار الدنيا، فإذا خرجت الروح منها تلقاها أولئك الشياطين فجعلوا يلعبون بها ـ والعياذ بالله ـ لعب الصبيان بالكرة، فيرميها شيطان لشيطان، ويضربون بها الصخور، ويعذبونها بما لا يطاق من عذاب الله، حتى تفنى الذات التي في القبر وترجع ترابًا، وعند ذلك تصعد تلك الروح إلى مقرها في أسفل البرزخ، فمن حمل عدم فتح السماء لأرواحهم على هذا المعنى ونحوه فهو صحيح.

* **قلت**: ولا تنافي بين ما قاله في هذه المرات، بل هو كلام واحد وقول متفق، فيضم بعضه إلى بعض، وإنما فرقته بحسب ما سمعته.

* **فإن قلت**: غالب هذا الكلام في هذه المرات يقتضي أن أسفل البرزخ في السماء الدنيا، وقد صرح لك بأن أسفله في أسفل سافلين، وهذا ينافي ما قبله بلا شك، فإن هذا يقتضي أن أسفله تحت الأرض السابعة وما قبله يقتضي أنه في السماء الدنيا.

* **قلت**: إذا حمل ما قبله على الأسفل بالنسبة إلى السعداء، وحمل هذا على الأسفل بالنسبة للأشقياء، لم يقع بينهما اختلاف كما لا يخفى.

* **فإن قلت**: هذا صحيح، ولكن ما سبق يقتضي أن أرواح الكفار في ذلك الأسفل الذي في السماء الدنيا، وهذا يقتضي أنها لا تكون في ذلك الأسفل بل في الأسفل التحتاني، فيتنافى الكلامان.

* **قلت**: إن أرواح الكفار مختلفة كما سبق، فمنها ما يكون في هذا الأسفل، [ومنها ما يكون في ذلك الأسفل][1] ومنها ما يكون في تلك العراجين، ومنها ما يكون في وسط بين الأسفلين، ومنها ما يكون في الأرض الثالثة.

وقد قال لي ﷺ: إنه رأى في الأرض الثالثة أقوامًا في بيوت ضيقة ونار محرقة وأبيار غامقة وعذاب دائم، لا يتكلم الواحد منهم كلمة واحدة حتى تهوي به هاويته فهو في صعود ونزول.

---

(١) سقطت من (أ).

قال ﷺ: وبينما أنا أنظر فيهم إذ لاح لي رجل منهم أعرفه باسمه وبذاته في دار الدنيا، فناديته باسمه وقلت ويحك! ما أنزلك هذا المنزل؟ فأراد أن يكلمني فهوت به هاويته.

وأكبر ظني أني قلت للشيخ ﷺ: هذا موضع من مواضع البرزخ؛ لأن البرزخ خارق للأرضين السبع إلى أسفل سافلين.

فقال: صدقت، هكذا قال لي، والله أعلم.

وما دخل لي شك في جميع ما كتبته في هذا الكتاب إلا هذه الكلمة، فنبهت عليها لتعلم مرتبتها، والله أعلم.

وهذا الرجل الذي رآه الشيخ ﷺ في هذه الأرض كان في دار الدنيا من جملة المؤمنين.

ثم قال ﷺ: ومن عجيب إرادة ربنا ﷻ أن حجب بلا حجاب أرواح الكفار عن الانتفاع بأرواح المؤمنين.

قال: فتلك الأنوار لها إشراق وإضاءة لا يبلغها شيء من هذه النيرات، بل نور هذه النيرات إنما هو من تلك الأنوار على ما سيأتي، ومع ذلك فإن روح الكافر بالنسبة إلى ذلك النور لا تنتفع به ولا تستضيء منه بقليل ولا بكثير، بل هي في ظلامها وسوادها الذي لا يكيف، فهي بالنسبة إلى تلك الأنوار في الحجب عنها بمثابة من جعلها في حُق من هندي وقفل عليها بالرصاص، والفرض أنه لا حُق ولا رصاص إلا إرادته ﷻ بمنع سريان النفع إلى الروح الكافرة.

قال ﷺ: وأمّا أرواح المؤمنين، فإنه ينتفع بعضها من بعض، ويسقي بعضها بعضًا، ويشفع بعضها في بعض، حتى إنك تشاهد في بعض الأرواح آثار ذنوب مما اكتسبته الذات وترى تلك الآثار ظاهرة على الروح، ثم إن تلك الآثار تزول بسبب روح عزيزة عند الله تعالى قريبة من الروح ذات الآثار.

قال ﷺ: وبين البرزخ والأماكن التي فيه وبين الجنة خيوط من نور لا تحدث فيه إلا بعد صعود الأرواح من الأشباح، وذلك النور هو نور الإيمان، فتراه خارجًا من روح زيد مثلاً في البرزخ خارقًا إلى الجنة، فتستمد ذات ذلك الولي من الجنة بسبب ذلك النور،

وكذلك بين برزخ أرواح الكفار وبين جهنم خيوط وظلام، ولا تحدث فيه إلا بعد صعود الأرواح من الأشباح، وذلك الظلام هو الكفر ـ أعاذنا الله منه ـ فتراه خارجًا إلى جهنم، فتستمد أرواح الكفار من سموم جهنم وعذابها.

قال ﷺ: وكذلك بين برزخ وبين ذوات المؤمنين في الدنيا خيوط هي نور إيمانهم، فيرى صاحب البصيرة خيط الإيمان أبيض صافيًا مثل شعاع الشمس النافذ من منفذ ضيق، إذا ضربت الشمس في باب مثلاً فإنك ترى فيه سلوكًا وخيوطًا من شعاعها خارقة إلى ما وراء الباب، كذلك يشاهد صاحب البصيرة في المؤمنين الأحياء خيطًا خارجًا من كل أحد مستمدًا من رأسه، ولا يظهر له حتى يتجاوز مقدار شبر فوق الرأس، فيراه حينئذ ذاهبًا في امتداده إلى مقر تلك الروح التي في [ذلك][1] المؤمن في البرزخ.

وهو يختلف بحسب القسمة الأزلية:

فمنهم: من يرى فيه على هيئة الخيط كما سبق.

ومنهم: من يشاهد فيه أغلظ من ذلك على هيئة غلظ القصبة.

ومنهم: من يشاهد فيه أغلظ من ذلك على هيئة النخلة وهم الأكابر من الأولياء ﷺ وكذلك يشاهد مثل هذه الخيوط بين ذوات الكفار وبين مقرهم في البرزخ، إلا أن خيوط الكفار لونها أزرق يضرب إلى سواد مثل نار الكبريت، وكل من شوهد فيه ذلك فهو علامة شقاوته ـ والعياذ بالله ـ وهو مختلف أيضًا كما سبق.

فمنهم: من يرى فيه رقيقًا.

ومنهم: من يرى فيه غليظًا مثل النخلة، على حسب تفاوتهم في الكفر، نسأل الله السلامة.

قال ﷺ: وكم مرة أنتبه إلى ملاحي اليهود فأرى الخيوط خارجة من رؤوسهم، ثم تجتمع في الأفق صاعدة مثل الضبابة السوداء، وأرى فيهم خيوطًا قليلة بيضاء صافية مشرقة، فأعلم بذلك أن أصحاب تلك الخيوط [سينتقلون][2] إلى دين النبي ؛أي: نبينا

---

(١) في نسخة: ذات.

(٢) في نسخة: سيقلبون.

محمد ﷺ وأنتبه إلى مدينة من مدن الإسلام فأرى الخيوط خارجة من رؤوسهم صافية مشرقة صاعدة إلى البرزخ، وقد يشاهد فيهم بعض الخيوط التي فيها زرقة وهي قليلة، وهي علامة شقاوة من شوهدت فيه كما سبق.

* قلت: وهم المشار إليهم في الحديث: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْـجَنَّةِ فِيمَا يَظْهَرُ لِلنَّاسِ ثُمَّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ. فَيَدْخُلُهَا**»[1].

والمؤمنون المشاهدون في زمرة اليهود هم المشار إليهم أيضًا بقوله ﷺ: «**وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَايَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ شِبْرٌ ثُمَّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْـجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا**»[2].

وقال ﷺ مرة: من أراد أن ينظر إلى السابقة وإلى قوله تعالى في الحديث: «**هَؤُلَاءِ إِلَى الْـجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي**»[3] فلينظر إلى الصبيان، يعني إن كان من أرباب هذا الكشف فإنه يرى فيهم من خيطه مشرق ومن خيطه أزرق، وهم غير مكلفين بعد ولكن السابقة سابقة.

ومررنا مرة على صبيين صغيرين لهما نحو الأربعة أعوام وهما يلعبان، فقال لي: انظر أي شيء عمل هذا، وأي شيء عمل هذا؟ يعني أن أحدهما خيطه مشرق والآخر أزرق.

وقال لي ﷺ مرة أخرى وقد مررنا على جماعة من الصبيان وهم يلعبون: من نظر إلى صبيان هذا الزمان علم حسنه عن الزمان الذي يأتي في المستقبل، فإن غالب أنوار صبيان هذا الزمان في غاية الحسن والملاحة.

وقد مررنا مرة على موضع فخرج منه صبي فنظر إليه فقال له: ما اسمك؟ فقال: المقداد، فقال ﷺ: هذا يخرج منه ولي كبير عزيز عند الله ﷻ.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٢، رقم ٣٦٢٤)، والبخارى (٣/ ١١٧٤، رقم ٣٠٣٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٦، رقم ٢٦٤٣)، وأبو داود (٤/ ٢٢٨، رقم ٤٧٠٨)، والترمذى (٤/ ٤٤٦، رقم ٢١٣٧) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١/ ٢٩، رقم ٧٦).

(٢) تقدم في سابقه.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٦، رقم ١٧٦٩٦) قال الهيثمى (٧/ ١٨٦): رجاله ثقات. وابن سعد (١/ ٣٠)، والحكيم (٤/ ٢٠٢)، والحاكم (١/ ٨٥، رقم ٨٤) وقال: صحيح.

ونظر مرة إلى صبي آخر فقال لي: انظر إلى نور الولاية، انظر إلى حلاوتها على وجهه، انظر إلى الولاية في ذاته فإنها لا تخفى على أحد، ثم قال لي ﷺ: أوصيك به خيرًا.

* **قلت**: وقد كبر ذلك الصبي ورجع اليوم رجلاً ـ والحمد لله ـ وقد حج وهو يرى مرائي عظامًا مع حسن حالته واستقامة أمره وسطوع الملاحة على وجهه.

قال ﷺ: وبنفس سقوط الذات من البطن إلى الأرض يعلم صاحب هذا الكشف ما تصير إليه، بمنزلة البحيرة فإنها قبل أن تنبت لا يدري هل يكون منها شيء أم لا، فإذا نبتت وخرجت إلى العيان علم منها ورقة البطيخ من ورقة غيره، وبمنزلة النوارة التي هي صفراء لا ترجع خضراء والتي هي حمراء لا ترجع صفراء.

ثم قلت له ﷺ: لم كان المنافقون أسوأ الكفرة في الدرك الأسفل من النار، مع أن لهم صلاة وصيامًا وحجًا وجهادًا، وإن لم يكن شيء من ذلك فقد كفوا أذيتهم عن أهل الإسلام.

فقال ﷺ: سبحان الله يا فلان، الكفر وخبثه وعظمه يمتد من السابقة [لا من][1] الأعمال، فكم مرة ننظر إلى البرزخ فنرى فيه عمودًا ظلمانيًا أزرق خبيثًا ممتدًا هابطًا منه ذاهبًا إلى مدينة من مدن الكفرة ـ لعنهم الله ـ فأقول في نفسي هذا لا يحل إلا في سلطانهم ولا ينزل إلا في طاغيتهم.

قال: فأتبعه نظري فنراه نزل في شويخ ضعيف جالس في حانوت يتمعش، فأوحد الله تعالى وأحمده وأشكره على نعمه.

وقال لي مرة: الخيط الأزرق وإن كان يدل على الشقاء لكنه قد يتبدل بإذن الله إذا جعل صاحب ذلك الخيط يخالط أهل السعادة ويداخلهم ويباطنهم، فإنه لا يزال خيطه يصفى شيئًا فشيئًا حتى يصير مثل أهل السعادة والحمد لله.

ومرة قال لي: إن الخيط الأزرق وإن كان أزرق ولا إشراق فيه، فإنا شاهدناه ينقلب، وإن كان مع الزرقة إشراق فإنا لم نشاهده ينقلب.

وقال لي مرة أخرى: من حكمة بعثة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أنهم

---

(١) في (ب): إلى.

يجمعون الناس على كلمتهم حتى يصيروا أهل ملة واحدة فيتناصحون ويتناصرون [ويتعاشرون]، وفيهم أهل سعادة وفيهم من خيطه أزرق، فإن طالت صحبته لأهل السعادة انقلب سعيدًا ببركة الاجتماع مع أهل السعادة، فبالبعثة حصل الاجتماع وبالاجتماع حصل الانقلاب، فهذا من فوائد البعثة.

* قلت: وبه [يفسر سر][1] الأمر النبوي [بلزوم][2] الجماعة وعدم الخروج عنها قيد شبر، وأن من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية.

وكنت ذات يوم معه ﷺ في سوق من الأسواق، ويده الكريمة في يدي ونحن نتماشى، وأنا غائب في سؤاله في هذه العلوم الكشفية، فلقينا رجلاً ينسبه الناس إلى الصلاح وهو قد نصب نفسه لذلك، فخاطبنا بكلمة أدرج فيها نصيحة ومقصوده شيء آخر ظهر من قرائن أحواله، فسكتنا عنه.

فقال لي الشيخ ﷺ بعد ذلك: إن خيطه أزرق ـ والعياذ بالله ـ وأقسم لي على ذلك غير ما مرة، ولا أدري هل يتبدل خيطه أو لا يتبدل؟

قال ﷺ: فإذا ماتت الذات انقلبت الروح إلى البرزخ، وانقطع سرها عن الذات إذا أخذت الذات في التغير والفناء، وقد يبقى سرها متصلاً [بالقبر][3] في بعض الأولياء، فيبقى عمود نور إيمانه قائمًا بالقبر ممتدًا إلى الروح التي في البرزخ كقيامه بالذات قبل.

قال ﷺ: وكم مرة أنظر إلى مقابر فاس وأجبتها ومواضع منها فأرى الأنوار خارجة من الأرض ذاهبة إلى البرزخ على هيئة القصب النابت من الأرض الممتد إلى البرزخ، فأعلم أن أصحاب تلك الأنوار أولياء أخيار.

وكم مرة يقول لي: ها هنا ولي كبير، في موضع من المواضع، ها هنا نوره خارج إلى البرزخ، وكذلك هو في قبر نبينا ومولانا محمد ﷺ فعمود نور إيمانه ﷺ ممتد من القبر الشريف إلى قبة البرزخ التي فيها روحه الطاهرة، وتأتي الملائكة زمرًا زمرًا وتطوف بذلك النور الشريف الممتد وتتمسح به وتتطارح عليه تطارح النحلة على يعسوبها، فكل مَلَك

(١) في (ب): يعز سائر.
(٢) في (ب): يلزم.
(٣) في (ب): بالغير.

عجز عن سر أو عن تحمل أمر أو حصل له كلل أو وقوف في مقام فإنه يجيء إلى النور الشريف ويطوف به، فإذا طاف به اكتسب قوة كاملة وجهدًا عظيمًا من نوره ﷺ فيرجع إلى موضعه وقد قوي أمره، ولا يفرغ من طوافه حتى تجيء جماعة أخرى من الملائكة كل واحد منهم يبادر الطواف.

وقال لي مرة: لما أراد الله أن يفتح عليّ وأن يجمعني برحمته نظرت، وأنا بفاس إلى القبر الشريف، ثم نظرت إلى النور الشريف فجعل يدنو مني وأنا أنظر إليه، فلما قرب مني خرج منه رجل وإذا هو النبي ﷺ.

فقال لي سيدي عبد الله البرناوي: لقد جمعك الله يا سيدي عبد العزيز مع رحمته وهو سيد الوجود ﷺ فلست أخاف عليك تلاعب الشياطين.

وقال ﷺ: إن شأن البرزخ عجيب، وإنه يكتسي بأنوار إيمان المؤمنين ما يبهر العقول حتى إن نور الشمس إنما هو من نور تلك الأرواح المؤمنة، وأمّا نور النجوم والقمر فإنما هو من نور الشمس؛ وذلك لأن أسفل البرزخ أسود مظلم كما سبق، فلا يحصل منه تنوير لما يقابله من النيرات، وهو الحائل المانع من تنويرها بالنور الذي تنورت منه الشمس؛ لأنها لو تنورت منه لتنور أصل البرزخ منه، فتنتفع أرواح الكفار من أرواح المؤمنين والله تعالى لم يرد ذلك، وإنما تنورت تلك النيرات من الشمس؛ لأن الشمس خارجة عن البرزخ وتلك النيرات[تسامتها][1] فيحصل لها تنور والقمر في السماء الدنيا في هذا الوجه الذي يليها [وكذا النجوم كلها في هذا الوجه الذي يلينا][2].

فقلت: فالمنجمون يزعمون أن النجوم الثابتة في [تلك][3] الثوابت، وهو الفلك الثامن.

فقال ﷺ: من أين لهم هذا؟

فقلت: زعموا من اختلاف سيرها مع سير السبعة السيارة.

---

(١) في (ب):لسآمتها.

(٢) سقطت من (أ).

(٣) في (ب):فلك.

فقال ﷺ: ليس كما ظنوا النجوم كلها في السماء الدنيا.

ثم تكلم على كيفية كل سماء وما فيها وسكانها، وما يليق بنا كتبه.

ولا تظن أيها الواقف على هذا الكتاب أني كتبت كل ما سمعت من الشيخ ﷺ بل إنما كتبت منه بعض البعض، فهذا ما سمعت منه في أمر البرزخ، والله ينفعنا به آمين.